السياسة في الفلسفة الإسلامية الفكر السياسي عند الفارابي(*)

م.م. احمد عدنان عزيز
كلية العلوم السياسية/جامعة بغداد

مقدمة:

تستهدف هذه الدراسة تحقيق هدف أساسي هو: تسليط الضوء على الفكر السياسي الفلسفي عند أبو نصر الفارابي " المعلم الثاني" ذلك من خلال التطرق إلى بعض أفكاره السياسية حول محور مهم، هو المدينة الفاضلة، وكيف يطرح فكره السياسي حول هذه المدينة من خلال البحث في تصوراته السياسية والفلسفية لهذه المدينة. ومن اجل تحقيق هذا الغرض قسمنا البحث استهلال تأسيسي ندرج فيه مقدمة بسيطة لتعريف الفكر السياسي والفلسفة السياسية، والغرض من الكتابة في مثل هذا الموضوع وأربع محاور أخرى.

تناول المحور الأول، نظرة الفارابي للمدينة الفاضلة وتصوراته السياسية والفلسفية لها، من خلال بيان موقع المدينة وطبيعتها مع بيان تأثير أفكار أعلام الفكر اليوناني على الفارابي، أفلاطون وأرسطو. وفي المحور الثاني نعالج البحث في شخصية رئيس المدينة الفاضلة ورؤية الفارابي لهذا الرئيس، (الحاكم، الإمام). مع استعراض لبعض الآراء حول هذا الموضوع (الحاكم، الإمام) الذي طرحه الفارابي في الفكر الإسلامي الفلسفي. أما المحور الثالث فسنخوض في سلطات رئيس المدينة الفاضلة التي قد تبدو غامضة وغير محددة المعالم عند الفارابي.

وفي المحور الأخير بحثنا في مضادات المدينة الفاضلة عند الفارابي من حيث تقسين المدن مع مقارنة هذا التقسيم مع أفلاطون وأرسطو. ثم تأتي الخاتمة مدونة أهم ماتوصل إليه البحث من استنتاجات حول الفكر السياسي عند الفارابي.

استهلال تأسيسي:

بداية الحديث في هذا البحث من الضروري أن نبين الغرض الأساسي للكتابة في مثل هذا الموضوع، فالحقيقة كلما تقدم الزمن بالأمة الإسلامية كلما ابتعدت عن أصولها الفكرية وجذورها الحضارية، وهذا الابتعاد قد يؤشر اتجاه سقوط حضارة هذه الأمة في أحضان حضارة متعالية عليها غريبة عنها في طريق تفكيرها وسلوكها. والحقيقة لابد للباحثين في الفكر الإسلامي من التنقيب عن الأصول والجذور لهذا الفكر ولو بدافع الحنين الفكري أولاً، ولإيضاح بذور التفكير السياسي في الفلسفة الإسلامية، لأنها تكشف عن العوامل والدوافع التي ساهمت في تكوين الفكر السياسي ثانياً.

والفارابي يعد الرائد الأول للفلسفة العربية، لذلك نجد من الضروري تناول فكره السياسي، لأنه حاول تدشين الفكر السياسي الإسلامي فلسفياً. ذلك أن السياسة لم تنفصل يوماً عن المجتمع الإسلامي، ولاعن التفكير الديني الإسلامي منذ هجرة الرسول(ρ) إلى الآن.

ولكن ماهو الفكر السياسي والفلسفة السياسية ؟

إن الفكر بصورة عامة- "إنما يعني الآراء والمبادئ والنظريات التي يطلقها ويعتمدها العقل الإنساني في تحديده لموقف أو مواقف معينة إزاء الكون والإنسان والحياة [1] ".

أما الفكر السياسي: فهو يتضمن هذه المبادئ والنظريات التي تعرض للعلاقة بين الفرد والسلطة وما يستلزم ذلك من دراسة وتفسير ظاهرة السلطة في نشأتها ووجوبها أو جوازها وتطورها، مؤسساتها ووظائفها وعمالها[2]. أما الفلسفة: فهي تعني لغة(حب الحكمة) وتنطوي كنتاج عقلي على تأمل شمولي حول الكون والطبيعة والإنسان[3]. أما الفلسفة السياسية: إنما هي حسب تعريف حديث " محاولة فكرية لمعرفة طبيعة الدولة، أي لمعرفة أسسها الرئيسية.إنها ليست علماً موضوعياً لبحث الظاهر السياسية، بل هي محاولة لفهم حياة شعب من الشعوب"[4]. ولو أخذنا هذا التعريف ودرسنا على ضوئه الفكر السياسي للفارابي لما وجدناه يخرج عنه. فالفارابي كما سنرى، حاول أن يحدد طبيعة الدولة المثالية والشروط التي يجب توفرها في رئيسها، كما انه تعرض إلى بحث انثروبولوجي، من حيث تناوله مختلف أنواع المجتمعات الممكن قيامها بحسب القيم التي تسعى إليها هذه المجتمعات. وأول ما يلفت النظر في التفكير السياسي لدى الفارابي، هو ربطه بين هذين القطبين اللذين لايلتقيان على صعيد الممارسة السياسية إلا نادراً وهما: الأخلاق والسياسة، اللذين لم يميز الفارابي في كتبه الأخلاقية والسياسية بينهما، وذلك لأنه لم يعتبر أخلاق الإنسان إلا من حيث انه يعيش في مدينة[5]. وان دل هذا على شئ، فانه يدل على أن النزعة السياسية هي التي تسيطر على أفكار الفارابي الفلسفية. ولهذا نجد مؤلفات الفارابي الرئيسية، التي عرض من خلالها أفكاره الفلسفية، هي مؤلفات سياسية، مثل كتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة" و"كتاب السياسة المدنية" و"تحصيل السعادة"[6]. بل حتى في كتاب "إحصاء العلوم" أيضاً [7].

المحور الأول- المدينة الفاضلة: موقعها طبيعتها عند الفارابي:

بادئ الأمر، إن مؤلفات الفارابي السياسية والاجتماعية كانت محاولة في الإصلاح السياسي والاجتماعي، ظهرت عندما لمس هذا الفيلسوف انهيار القاعدة الإسلامية فيما يتعلق بوسائل الحكم فيها، مما جعله يربط بين تأثيراته العامة بالانجاز الأفلاطوني والارسطوطالي في هذا السياق، وقيم التعاليم الإسلامية التي لم يسبق تطبيقها فعلاً، وإنما احتواها الحكام من الناحية النظرية فحسب[8]. لذلك جاء كتاب "آراء أهل المدينة الفاضلة" ضمن هذا الاتجاه، فقد عرف الفارابي المدينة الفاضلة

على هذا النحو" إن المدينة الفاضلة؛ هي المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التي تنال السعادة الحقيقية[9]" قد درس الفارابي المدينة الفاضلة كل مايتعلق بموقعها وطبيعتها، ثم حدد أنواع الاجتماعات الإنسانية وضرورتها. فقد اهتم الفارابي ضمن الفلاسفة الذين اهتموا بموقع المدينة من الناحية الجغرافية والسكانية والعسكرية وموقعها سواء قرب نهر أو بحر أو على رابية [10]. فقد أكد الفارابي " إن المدينة هي مستقر حضري ضروري يتميز بوجود عدد كبير من السكان[11]. و بوجود الملك السياسي[12]". وأكد الفارابي على الموقع الجغرافي للمدينة محدداً أهمية وقوعه في الإقليم الوسط الذي يتميز باعتدال المناخ ووجود السور[13]. أما طبيعة المدينة الفاضلة عند الفارابي، فهي التي تسير فيها الأمور بصورة خيرة وسعيدة، حيث لا مجال فيها لسوى الفضائل، والأفراديشكلون مجتمعاً واحداً متماسكاً، فإذا لم يتوفر هذا في "المدينة" بطلت عنها صفة الأفضلية، وأصبحت أما "جاهلة" لا تطمع إلى السعادة، ولا ترغب إلاّ في نوال لذات الأبدان والتمتع بها، وجمع الثروة، والتصرف وفق الأهواء الشخصية بلا ضبط ولاقيم؛ وأما " فاسقة " يعرف أهلها طريق الخير ولكنهم يتبعون طريق الشر؛ وأما "متبدلة" يسير أهلها اولاً في درب أهل المدينة الفاضلة، ثم ينقلبون على أعقابهم؛ وأما "ضالة "تسير خلف رئيس مخادع يدعي إلهية قراراته [14]. وهنا إشارة إلى مضادات المدينة الفاضلة التي سنتناولها لاحقاً بشيء من الإيجاز. ويشبه الفارابي المدينة بالجسد الحي من حيث تناسقه وتماسكه على وفق نظام معين، ويرى كذلك إن الناس الذين يكونون المدينة مختلفون في الفطرة، متفاضلون في الهيئات وان في المدينة إنساناً هو رئيسها، وهناك آخرون في مراتب مختلفة [15]. ومن الطريف أن يكون الفارابي الفيلسوف الصوفي الروحي في حياته الخاصة، والفيلسوف العقلي والنظري في فلسفته العامة والذي تقع حياته فيما بين سنتي 259 و 339 للهجرة الموافقتين لسنتي 870 و950 للميلاد، اسبق من علماء الاجتماع المحدثين والمعاصرين في أمريكا وأوربا، إلى تشبيه المدينة بالجسد الحي، والمقابلة بين كل جزء من أجزاء المدينة وبين كل عضو من أعضاء الجسم. على إن الفارابي لايطلق الموازنة والمقابلة بين أجزاء المدينة وأعضاء البدن، إطلاقا تاماً دون أن يقيدهما بقيد، أو يحدهما بحد، وإنما هو من الدقة وعمق الفكرة، بحيث يظهرها على إن ثمة فرقاً بين ماهو من أجزاء المدينة وبين ماهو من أعضاء البدن، وذلك إذ يبين أن أعضاء البدن طبيعية، وان الهيئات التي لهذه الأعضاء إنما هي قوى طبيعية، على حين أن أجزاء المدينة وهم أفرادها، وان كانوا طبيعيين، إلا أن الهيئات والملكات التي يفعلون بها أفعالهم للمدينة ليست طبيعية، وإنما هي إرادية تصدر عن فكر ورؤية، وهذه الرؤية وذلك الفكر هما الأداتان اللتان يصطنعهما أهل المدينة فيما هم بسبيل إنشائه واستحداثه من صناعات في مدينتهم [16]. مما يستدل به من الفارابي، إن أهل المدينة ليسوا أجزاء لمدينتهم بفطرتهم وحدها، ولا

بطبيعتهم وحدها، وإنما هي بملكاتهم الإرادية. وقد يظهر إن الفارابي قد اخذ عن أفلاطون فكرة تشبيه المدينة بالبدن التام الصحيح، بفارق واحد، إن أفلاطون كان يبغي رفض الملكية الخاصة من خلال تشبيهه للجمهورية المثلى بالفرد الواحد[17]. وأما من حيث التأثير الأرسطي في فكر الفارابي السياسي، فيتعلق هذا خاصة بالأرض: ارض الواقع وارض الممارسة. إذ يمكن اعتبار "المدينة الفاضلة" ذات تأثير أفلاطوني، و(المدن غير الفاضلة) من جاهلة وفاسقة وضالة.. ذات تأثير أرسطي.ذلك إن أرسطو منح النواحي الاجتماعية والاقتصادية أكثر مما منحه أستاذه الأكاديمي في ميدان التفكير السياسي، فقد فكر المعلم الأول في كيفية تحقق الدول في ظروف معينة من خلال منظار تاريخي، واخذ عوامل توزيع الثروات والتقاليد الأخلاقية وسواها بعين الاعتبار[18].

المحور الثاني- شخصية رئيس المدينة الفاضلة (الحاكم- الإمام) عند الفارابي:

لعل أهم ماورد في الفكر السياسي عند الفارابي هو الدور الذي يخصصه للحاكم. وهنا يظهر مدى التأثير الإسلامي وهو تأثير طبيعي في فكر الفارابي. فقد اخذ المعلم الثاني من أفلاطون وأرسطو تعاليمهما في بناء المجتمع الفاضل العادل، ثم اتجه للإسلام ليأخذ منه ما يشاء من اجل استكمال بناء تفكيره السياسي. فرئيس المدينة لفاضلة عند الفارابي يقترب قليلاً أو كثيراً مما يصور به أفلاطون في جمهوريته، هذا الرئيس وغيره ممن إليهم شؤون الحكم وتدبير السياسة في هذه الجمهورية، بفارق واحد، هو إن الرئيس عند أفلاطون هو فيلسوف ذات نفس ناطقة يتعالى عن الشهوة والغضب ذات قوة عاقلة. أما الحاكم عند الفارابي فهو فضلا عن ذلك كله يزيد عليه المعنى النبوي الإسلامي الذي يجعل من رئيس المدنية الفارابية فيلسوفاً أضفى الله على قوته المتخيلة ثوباً من أثواب النبوة[19]. إن رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابي لايمكن أن يكون أي إنسان، بل لابد من توفر الفطرة والطبع وان يكون معداً للرئاسة والملكة والهيئة الإرادية[20]. وذلك نظراً للدور السياسي والتربوي والفلسفي والديني والأخلاقي الذي يقوم به رئيس المدينة الفاضلة. لقد وصف الفارابي رئيس المدينة الفاضلة فقال: "إن الرئيس الحقيقي هو رئيس الأمة الفاضلة، ورئيس المعمورة كلها. ولا يجوز أن يكون فوقه رئيس أصلا، بل هو فوق الجميع، وليس في وسع كل إنسان أن يكون رئيساً، لأن للرئاسة صفات لاوجود لها في كل شخص، وإنما يكون الرئيس إنسانا قد استكمل جميع الصفات الحسنة، فصار عقلاً ومعقولاً بالفعل...[21]".

فأول شرائط رئيس المدينة الفاضلة، هو أن يكون إنسانا في أكمل مراتب الإنسانية وفي اعلي درجات السعادة، وان تكون نفسه كاملة متحدة وهو فيلسوف وحكيم ونبي منذر[22]. إذ يمكن ملاحظة أن رئيس المدينة الفاضلة الذي هو الحكيم أو الفيلسوف، كالنبي، يوحى إليه، إذ انه يستكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها ويصير عقلاً بالفعل ومعقولاً بالفعل، وهذا يعني أن هذا الرئيس حكيماً

وفيلسوفا متعقلاً وموحى إليه بتوسط العقل الفعال[*][23]. ولأجل أن يتصل الحاكم في المدينة الفاضلة بالعقل الفعال ينبغي أن تتوفر فيه اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها، ست منها بدنية وست أخلاقية، كما أوردها الفارابي[24]. وهي:

1. أن يكون تام الأعضاء. 2- أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال. 3- جيد الحفظ. 4- جيد الفطنة والذكاء. 5- حسن العبارة. 6- محب للعلم والتعلم والاستفادة. 7- غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح. 8-محباً للصدق وأهله ومبغضاً للكذب وأهله. 9- كبير النفس محب للكرامة. 10. الدرهم والدينار وسائر إعراض الدنيا هينة عنده.11. محباً للعدل وأهله ومبغضاً للظلم والجور وأهله. 12. قوي العزيمة على الشيء الذي يرى انه ينبغي أن يفعل..

ويعترف الفارابي إن اجتماع هذه الصفات كلها في إنسان واحد أمر عسير أو نادر، فأن أتيح توفرها في إنسان كان هو الرئيس الأعلى، وإلاَ فالرئيس كل من اجتمع فيه اكبر قدر ممكن من هذه الصفات، وإذا لم يوجد الإنسان الذي تجتمع فيه أكثر هذه الصفات، ولكن وجد اثنان، احدهما حكيم والآخر فيه الصفات الباقية يتوليان معاً الرياسة، ويكون كل واحد منهما مكملاً للآخر، فإذا تفرقت هذه الصفات في أكثر من اثنين، وكانوا متلائمين كانوا هم الرؤساء الأفاضل، ويرى الفارابي أن الحكمة من أهم صفات الرئيس الأعلى فإذا لم توجد هذه الصفة في احد؛ بقيت المدينة الفاضلة بدون رئيس، وذلك مما يؤدي إلى الهلاك[25]. وغني عن البيان القول بوجود شبه أو تشابه بين صفات الرئيس بين أفلاطون والفارابي، فصفات الرئيس عند أفلاطون هي: الرغبة الملحة لمعرفة كل الوجود الحقيقي، كراهية الباطل والتعلق بمحبة الحق، احتقار ملذات الجسد، عدم الاهتمام بالمال، سمو العقل والسماحة، الاتصاف بالعدالة، سرعة الفهم والذاكرة الجيدة والمزاج الموسيقي[26]. وهنا يتضح أن للفارابي شروط رئيسية لم يشترط أفلاطون توفرها في رئيسه. ونعود هنا إلى التطابق الذي نلاحظه بين شخصي الحكيم والنبي(الحاكم والإمام) كرئيس للمدينة الفاضلة عند الفارابي، أي بين رجل الفكر ورجل الدين من حيث أهليتهما لرئاسة المدينة. إن فكرة المطابقة بين الفلسفة والدين ليست غريبة على الفكر الفلسفي الإسلامي، سياسياً كان أم مذهبياً، فقد دشن الكندي أول الفلاسفة العرب هذه المطابقة، وسار عليها المفكرون حتى آخر فيلسوف تقليدي عرفه الإسلام في الأندلس وهو ابن رشد[27]. ويختلف الرأي حول موضوع الجمع بين الحكيم والنبي لرئاسة المدينة الفاضلة عند الفارابي. فالبعض، ومنهم حنا الفاخوري وخليل الجر، إذ يعتبران أن هذا الجمع يراد به إعطاء الإمامة الأولوية، نظراً لأن الرئيس هو المعلم المرشد والمدبر، وهو واضع النواميس والشرائع، ونظراً لان الفارابي أقام " نظامه الاجتماعي على أساس العالم الأكبر والعالم الأصغر، وجعل الحاجة إلى معلم وهو الإمام حاجة ضرورية لقيام المجتمع، وجعل نظرته في بناء المجتمع الأكمل نظرة كونية،

والاجتماع الكوني تحت سلطة الإمام من أهداف الشيعة" [28]. أما البعض الآخر ومنهم عادل العواَ، يرى أن الفارابي رغم مايوصف به، يظل مفكراً عقلانياً لايعطي الإمامة الأولوية، وانما يعطي الأولوية للحكمة كما سبق وأعطاها أفلاطون نفسه، ويستند العواَ إلى بعض الأقوال الواردة في كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة)، فيذكر أن الفارابي قبل بمبدأ الحكم المشترك إذا لم تجتمع الصفات المطلوبة بشخص الرئيس في شخص واحد .. وان هذا القبول وأنا أوافق هذا الرأي بحد ذاته يعتبر مخالفاً لرأي الشيعة الذين لايرون للرئاسة (الإمامة) إلاشخصاً واحداً وهو الإمام[29]. ومن جهة اخرى فان عادل العواَ، يستند إلى قول للفارابي يبن فيه انه في حال غياب صفة الحكمة عن رئيس المدينة، فان الهلاك هو الذي ينتظر المدينة، وفي هذا دليل في رأيه على أن الصفة الأولى المطلوبة لرئيس هي الفلسفة وليس الدين، وهو مايبطل، أو يقلل على الأقل، من أهمية دور الإمامة عند الفارابي. يقول الفارابي:إلاَ انه إذا اجتمعت الصفات كلها في أشخاص عدة ماعدا الحكمة " بقيت المدينة الفاضلة بلا ملك، وكان الرئيس القائم بأمر المدينة ليس بملك، وكانت المدينة تعرض للهلاك. فان لم يتفق أن يوجد حكيم تضاف إليه، لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك"[30]. ولو عدنا إلى الرأي الأول، فسبب طرحه هو تواجد الفارابي تحت حماية ورعاية آل سيف الدولة ذوي الميول الشيعية في حلب لم يكن محض صدفة، فانه يجعل من نظرية الفكر السياسي عند الفارابي المتمثل في بعض كتبه، نظرية في فلسفة النبوة: ليضيف إلى أن للآراء الإسماعيلية أثراً عميقاً في فلسفة المعلم الثاني وفي نظريته حول النبوة[31]. وتعليل الوقوف إلى جانب هذا الرأي بوجود تقارب بين الأطروحات الفكرية للفارابي ونظرية الإمامة، حقيقة أن الإشارة إلى الأئمة واضحة في مناداة الفارابي بسير الرئيس الحال سيرة الرئيس الذي سبقه وهو مايذكر بالطبع بسير الإمام الحالي بسير الإمام الذي سبقه. إذ يقول الفارابي في كتاب(السياسة المدنية): "فإذا اتفق أن كان من هؤلاء الملوك [الفضلاء] في وقت جماعة إما في مدنية واحدة أو في امة واحدة أو في أمم كثيرة، فان جماعتهم جميعاً تكون كملك واحد لاتفاق هممهم وأغراضهم وإرادتهم وسيرتهم. وإذا توالوا في الأديان واحداً بعد آخر، فان نفوسهم تكون كنفس واحدة، ويكون الثاني على سيرة الأول، والغابر على سيرة الماضي[32]". ولكن الأولوية تظل للحكمة والفلسفة لا للفكر الديني حسب أقوال الفارابي نفسه.

المحور الثالث– سلطات رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابي:

حقيقة إن البحث في كتاب (رئيس المدينة الفاضلة) عن سلطات الرئيس أو صلاحياته أو اختصاصاته صعب للغاية؛ حيث كل مايجده الباحث هو إشارات عامة آو غامضة لتوزيع السلطات من هذا الرئيس ومرؤوسيه. حيث جاء في الفصل السابع والعشرين في (آراء أهل المدينة الفاضلة):" رئيس المدينة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه، وله من كل ما شارك فيه غيره أفضله، ودونه قوم

مرؤوسون منه، ويرأسون آخرين[33]". وعلى النقيض من الفارابي نجد أفلاطون يستعرض سلطات الحاكم، فالحاكم عند أفلاطون هو شخص حكيم وفوق القانون، وذلك انه من غير الممكن، في رأي أفلاطون أن ينطبق القانون الذي لايورد سوى حالات عامة، على حقيقة المواقف غير المتناهية في عددها. وبالتالي فأن الذي يعرف مطالب الشعب(الرئيس الحاكم) لايمكن أن يكون مقيداً بالقواعد التي وضعها هو بنفسه[34]. وهنا يضع أفلاطون الفيلسوف الحاكم فوق القوانين التي وضعها، وهو وضع ترفضه الممارسة السياسية الديمقراطية الحقة، فيما نجده مألوفا في الممارسات السياسية الأخرى. ومن الناحية الأخرى، فأن أفلاطون حدد في (جمهوريته) أنواع الحكم التي لا يريدها لدولته، وهي الحكم الثيموقراطي، أي حكم رجال الشرف، والحكم الاوليغارشي، أي حكم الأقلية الثرية، والحكم الديمقراطي، أي حكم الفقراء من الشعب؛ وأخيراً الحكم الاستبدادي الغني عن التعريف. وأما الحكم المثالي فهو حكم ملكي برئاسة فيلسوف[35]. وإذا انتقلنا من أفلاطون إلى الإسلام، وهما بلا شك أهم منابع التأثير الفكري الفلسفي في التفكير السياسي عند الفارابي، نجد أن الخليفة المنتخب حسب رأي أهل السنة هو شخص يترأس السلطة التنفيذية لتطبيق القوانين في مختلف أوجه الحياة الدينية والدنيوية، وهو رمز وحدة الدولة الإسلامية، وأما السلطة القضائية فمنوطة بالفتوى والقضاء، اللذين يعملان حسب نصوص القرآن والسنة وإلا فبالقياس والاجتهاد[36]. أما الإمام في الفكر الشيعي، فلديه سلطة أقوى من سلطة الخليفة لاعتقاد الشيعة بكون الإمام هو من أفضل الرجال وهو أعلمهم وأعدلهم في عصره، وهو معصوم عن الخطأ عصمة الأنبياء وذلك بحكمة ورعاية إلهيتين. وتفسير غموض اكتفاء الفارابي بتحديد الشروط التي يجب أن تتوفر في الرئيس للمدينة الفاضلة وتحاشي الدخول في تحديد سلطاته، هو أن الفارابي عاش في القرن الرابع الهجري، وكما هو معروف أن هذه الفترة تاريخياً عرفت بالتصدع الذي أصاب الإمبراطورية الإسلامية، وان إثارة مثل هذه المواضيع التي قد تحدث القلاقل تؤدي إلى تصفية مُثيريها، سيما إذا كانوا من رعاة الفكر وحملة القلم، وهذا مايفسر باعتقادي غياب سبر غور الفارابي في تحديد المهمات السياسية لرئيس المدينة الفاضلة، ومن يتجنب الخوض في هذا الموضوع، يتجنب بالتالي التعرض إلى تحديد حتى نوع الحكم وكيفية ممارسة السلطة

المحور الرابع – مضادات المدينة الفاضلة عند الفارابي:

لقد سبق أفلاطون وأرسطو الفارابي في تقسيم المدن على نحو مختلف عما جاء به الأخير. فقد قسم أفلاطون المدن إلى أنواع[37]:

1. مدينة التغلب: وهي حكومة سيطر فيها الحماس والقوة الغضبية على كل مقتضيات العقل والمنطق.

2. مدينة القلة: وهي حكومة الأغنياء ورجال المال والهيبة والنفوذ.
3. المدينة الجماعية: وهي حكومة الكثرة التي قصد أهلها أن يكون أفراداً متساوون.
4. مدينة الحاكم بأمره: وهي حكومة الفرد الذي يذل الحرية والأحرار فيها.

أما أرسطو فهو كأستاذه أفلاطون وضع أنواعاً للمدن[38].

1. مدينة الرشاد: وهي حكومة الفرد الفاضل العادل.
2. مدينة الارستقراطية: وهي حكومة الأقلية العاقلة.
3. مدينة الفسق والطغيان: وهي التي يتولاها حاكم بأمره(حكم فردي) مستبد غاشم.
4. مدينة اليسار: وهي المدينة التي يتولى زمام الحكم فيها طبقة الأغنياء.
5. المدينة الجماعية: وهي الحكومة التي تقتصر سلطة الشعب فيها على انتخاب الحكام، فيزاول هؤلاء الحكم بإشراف الشعب.
6. مدينة الغوغاء: وهي حكومة العامة تتبع أهواءها المتقلبة وتكون غير مستقرة.

أما الفارابي فقد وضع مدناً مضادة للمدينة الفاضلة وأطلق عليها المدن (الجاهلة والضالة)، وقد أورد الفارابي في الفصل الرابع والثلاثين من كتاب(آراء أهل المدينة الفاضلة)، وهو الفصل الذي يحمل عنوان (القول في آراء أهل المدن الجاهلة والضالة) مجموعة من الآراء الاجتماعية التي تسهب القول عن هذه المدن، ونجد في كتاب(السياسة المدنية) إسهاباً ووضوحاً بتحديد هذه المدن، حيث صنف الفارابي مضادات المدينة الفاضلة إلى[39]:

1. المدينة الجاهلة: وهي المدينة التي لم يعرف أهلها الحياة الحقيقية، ولا خطرت ببالهم إن ارشدوا إليها لم يقيموها، وان ذكرت لهم لم يعتقدوها. وقد اعتبروا أن غاية الحياة في سلامة البدن، واليسار، والتمتع باللذات، والانقياد إلى الشهوات، ونيل المجد والعظمة. وتتشعب هذه المدينة إلى عدة أقسام :

أ. المدينة الضرورية: وهي المدينة التي يقتصر أهلها على الضروري من ضروريات الحياة ولا يفكرون إلا في التعاون في نيل ذلك.

ب. مدينة الخسة والاجتماع الخسيس: وهي المدينة التي يتعاون أهلها على قصد اللذة والتمتع بالمأكول والمشروب والمنكوح، والتمتع بالمحسوس أو باللذة من المتخيل من اللعب والهزل أو هما جميعاً، واختيار الألذ من هذه طلباً للّذة، وهذه المدينة، هي المدينة السعيدة والمغبوطة عند أهل الجاهلية لان غرض هذه المدينة إنما يمكنهم بلوغه بعد تحصيل الضروري وبعد تحصيل اليسار، وبالنفقات الكثيرة.

ج. المدينة الكرامية(مدينة الكرامة): وهي التي يقصد أهلها بلوغ صفة الوصول إلى أن يكرموا بالقول والفعل. وذلك إما بأن يكرمهم أهل المدن الأخرى أو أن يكرم بعضهم بعضاً.

د. مدينة البذالة(النذالة): وهي التي يجتمع بها أهل النذالة ويتعاونون على نيل الثروة واليسار والاستكثار من اقتناء الضروريات وما قام مقامها من الدرهم والدينار. وجمعها فوق مقدار الحاجة إليها، لا لشيء سوى محبة اليسار فقط والشح عليها. أي اليسار هو الغاية في الحياة.

هـ. مدينة التغلب(الغلبة): وهي التي يتعاون أهلها على أن تكون لهم الغلبة. وإنما يكونون كذلك إذا عمهم جميعاً محبة الغلبة، ولكن تفاوتوا في محبتها بالأقل والأكثر، وتفاوتوا في أنواع الغلبات وأنواع الأشياء التي يغلب الناس عليها. باختصار هي قصد أهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم والممتنعين أن يقهرهم غيرهم.

و. المدينة الجماعية: وهي المدينة التي قصد أهلها أن يكونوا أحرارا، يعمل كل منهم ما يشاء فيتبع هواه، ولا يمنع نفسه من شيء أصلا، وهي شبيهة بالفوضوية.

2. المدينة الضالة: وهي التي يكون رئيسها الأول ممن أوهم انه يوحى إليه من غير أن يكون قد استعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور. وهي المدينة التي تقر بالسعادة بعد هذه الحياة الدنيا ولكنها كفرت بذلك، واعتقدت في الله والثواني وفي العقل الفعال آراء فاسدة ويكون رئيسها الأول ضالاً، وأهل هذه المدينة يهلكون وينحلون على مثال مايصير إليه حال المدينة الجاهلة.

3. المدينة المبدلة: وهي المدينة التي كانت آراء أهلها وأفعالهم في القديم، آراء المدينة الفاصلة وأفعالها. غير إنها تبدلت فدخلت فيها آراء فاسدة فاستمالت الى أفعال فاسدة، ولذلك يهلكون مثل أهل المدينة الجاهلة.

إن المدن الجاهلة والضالة التي قصدها الفارابي هي التي ليس لأهلها معرفة بنظام الوجود أصلا وهم لايعملون بحسب مقتضيات هذا النظام وهنا القصد نتيجة علومهم وأفعالهم تكون غير فاضلة. فمن هذه المدن (الجاهلة الضالة) من يرى أهلها إن استعمال العدل في البيع والشراء ورد الودائع وعدم الغضب والجور إنما هو لأجل الخوف والضعف عند الضرورة الواردة تحت ظروف خارجية[40]. إن المدن الضالة الجاهلة في فكر الفارابي والتي تضاد المدينة الفاضلة، هي القائمة على أساس القهر والقوة والغلبة، لا على العدل والفضيلة والخير والمعرفة والتعاون الصادق. وحقيقةً أرى تشابهاً بين هذه المدن كما يصفها الفارابي وبين التي سادتها الأنظمة الفاشستية التي عرفنا منها في العصور المختلفة أشكالاً كثيرة. وهكذا من خلال هذه الدراسة نجد أن الخط العام للتفكير السياسي عند الفارابي، يقوم على أساس الربط العضوي الواضح والغير مميز بين السياسية والأخلاق، من اجل هدف واحد هو السعادة: سعادة الفرد والجماعة، وبالتالي سعادة الدولة. وهذا يقودنا إلى وضع خاتمة للبحث، لبيان أهم مايمكن تلمسه من التفكير السياسي عند الفارابي.

الخاتمة

يمكن تلمس عدد من الاستنتاجات من خلال البحث عن الفكر السياسي عند الفارابي من خلال ما تناولناه أو ما كتب عن الفارابي:

1. إن الفكر السياسي الفلسفي عند الفارابي ليس كله من ابتكار الفارابي، وإنما كان نتيجة لتضافر عدة عناصر، منها التأثير الأفلاطوني الذي يبدو واضحاً على الفكر الفارابي، فضلا عن تأثير البيئة الشرقية العراقية وتأثير العقيدة الإسلامية، لكن هذا التأثير أو الاقتباس عن الفكر اليوناني والتأثير الشرقي لا يلغي أصالة والطابع الخاص الذي اطر النظام الفلسفي وجعله قائماً بذاته.

2. إن آراء الفارابي في السياسة، إنما هي تطبيق لنظرياته الفلسفية، فلو تصفحنا كتاب (آراء أهل المدينة الفاضلة) لوجدنا إن الفارابي يشرح العقائد التي يجب أن يملكها أفراد المدينة الفاضلة واقصد الإلهيات الخاصة علاوة على مصادر الوجود وصفات الموجودات الثانوية، تكوين وظهور كائنات هذا العالم وغيره زيادة على كيفية بناء المدينة الفاضلة وهدم واجتثاث المجتمعات المتباينة مع هذه المدينة ،فضلا عن موضوعات متعددة مثل الفيض، النفس، الإرادة، الاختيار، السعادة، الوحي، المناجاة،القوة المخيلة. وان دل هذا على شئ، فانه يدل على أن فلسفته الاجتماعية السياسية إنما هي تطبيق لمذهبه الفلسفي.

3. اشترط الفارابي في رئيس مدينته الفاضلة أنيكون فيلسوفاً ونبياً على اتصال بالعقل الفعال، ويطلب من رئيسه أن يصعد نحو العالم الروحي ويندمج به، ليقود أهل مدينته نحو السعادة المطلقة التي لاتستمر إلا باستمرار الاتصال بالعقل الفعال. فقد جمع الفارابي بين النبوة والفلسفة في شخص رئيس مدينته بقصد الوفاق بين النبوة والفلسفة، وبالتالي بين الحكمة والشريعة.

4. إقرار الفارابي بتعدد السلطة الرئاسية من خلال طرحه نظرية مجلس الرئاسة، وذلك عند تعذر وجود شخص واحد حائز على جميع الشروط المطلوبة التي مر ذكرها خلال البحث. وهذا إنما يدل على أن المدينة الفاضلة عند الفارابي بالضرورة تكون غير محلية تتسع لتشمل كل الأمم والدول.

5. إن نظرة الفارابي للمدينة الفاضلة قائمة على تشبيهها من ناحية البناء والمراتب والوظائف بالبدن التام الصحيح، وهذا يدل على أن منابع المدينة الفاضلة هي منابع روحية وعقلية استناداً إلى ما تقوم عليه وتؤديه من وظائف (صنائع) كل جزء من أجزاء المدينة وبين كل عضو من أعضاء الجسم.

6. إن فلسفة الفارابي الاجتماعية والسياسية إنما تقوم على أسس روحية، وتستمد عناصرها من منابع نفسية وأخلاقية، ومعنى هذا بعبارة اخرى أن المدينة الفاضلة التي هي عامة للإنسانية الكاملة كما صورها المعلم الثاني، والتي يرأسها حكيم أو نبي قد كملت نفسه ونفوس معاونيه ومواطنيه على هذا الوجه، إنما هي ثمرة روحية بقدر ماهي ضرورة اجتماعية.

باختصار إن التفكير السياسي عند الفارابي بكل مقوماته ومرتكزاته، هو نظرة أو فكر فلسفي ذات منظور تربوي قبل أن يتداخل مع الجانب الشرعي (الديني).

الهوامش:

(*). الفارابي: شيخ الفلسفة الحكيم، أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ التركي الفارابي المنطقي، احد الأذكياء، الذين احكموا اللغة العربية بالعراق، وسافر إلى حران والى مصر وسكن دمشق وكان يعرف العديد من اللغات الأخرى، وكان والده من أمراء الأتراك. وهو أول من اخترع آلة القانون، وكان يحب الوحدة، ويتزهد زهد الفلاسفة، ولا يحتفل بملبس ولا منزل. وله مصنفات كثيرة في الكيمياء وسائر تواليف في الرياضي والإلهي. وبدمشق كان موته في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة عن نحو من ثمانين سنة.

انظر: شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، إشراف وتخريج: شعيب الارنئوطي: تحقيق إبراهيم الزيبق، ط9، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ)، ج 15، ص 416-418. وللاطلاع أكثر حول حياة الفارابي، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس،(لبنان، دار الثقافة للطباعة والنشر، د.ت)، ج5، ص، 153-156 .

1. جهاد تقي صادق ، الفكر السياسي العربي الإسلامي الحديث، جامعة بغداد 1989-1990، ص ، 19.
2. المصدر نفسه ، ص ، 20.
3. عامر حسن فياض، علي عباس مراد، الظاهرة القومية، مدخل الى الفكر القومي العربي، ط1، (منشورات جامعة قاريونس، 1998) ص 16.
(4)Encyclopedia universals; Tom Jipp, paris. 1977. p. 225
5. غسان فيناس، تاريخ الفلسفة العربية،(دار الكتاب، دمشق،، 1988-)1989، ص202.
6. المصدر نفسه ، ص، 202.
7. أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم،ط2(القاهرة، منشورات عثمان أمين، 1949)،ص،106
8. حسن الأمين، مستدركات أعيان الشيعة،ط2،(بيروت، دار التعارف للمطبوعات،، 1418هـ)، ج2، ص، 206.
9. غسان فيناس، المصدر السابق، ص، 206 .
10. أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق: البير نصري نادر،ط3،(بيروت، دار المشرق، 1973)،ص، 117 .
11. المصدر السابق، ص، 125.
12. أبو نصر الفارابي، فلسفة أفلاطون واجزاءوها ومراتب أجزاءها من أولها إلى آخرها، تحقيق: عبد الرحمن طه بدوي،ط3،(بيروت، د.ن. 1982)، ص17 .
13. حميد خلف علي، اثر الفارابي في فلسفة ابن خلدون، ط1،(بيروت، دار الهادي، 2006)، ص، 11.
14. حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية،، ط1،(بيروت، د.ن.، 1963)، ص، 420-422.
15. منذر الكوثر، فلسفة الفارابي، دراسة تحليلية في نظرية واجب الوجود عند الفارابي،ط1،(لندن، دار الحكمة، 2002)، ص، 268.
16. محسن الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج: حسن الأمين،(بيروت،دار التعارف للمطبوعات، 1983)، ج9، ص،111 .

17. انظر: أفلاطون، جمهورية أفلاطون، تقديم وتعليق وترجمة: نظله الحكيم، محمد مظهر سعيد، (القاهرة، د.ن.، 1963) ص، 351.

(18) Encyclopedia universals; Tom Jipp, paris. 1977. p. 226-227.

19. محسن الأمين ، أعيان الشيعة، مصدر سابق، ج9، ص، 109-110 .

20. غسان فيناس، مصدر سابق، ص، 208 .

21. أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة،مصدر سابق، ص، 84 .

22. غسان فيناس، المصدر السابق، ص،208.

(*). يقسم العقل عند الفارابي إلى قسمين: عقل نظري وعقل عملي. فأما العقل النظري، فهو على مراتب ثلاث: العقل الهيولاني، والعقل بالملكة، والعقل المستفاد. أما العقل العملي، فهو يتفاوت بين الناس والمعروف من قبلهم بالعقل والفضل وهو العقل الذي يوجب بعض الأفعال أو ينفيها وهو القدرة على استيعاب مبادئ المنطق. اما العقل الفعال فيسميه الفارابي " بالروح الأمين " او روح القدس ووظيفته هي وهب الصور أي ان المعقولات موجودة فيه، وهو الذي يهبها للعقل الإنساني، فالحاكم عند الفارابي يتجاوز العقل النظري والعملي مما يمكنه من الاتصال بالعقل الفعال وهذا العقل هو الذي يلقن المعرفة مباشرة إلى الحاكم عن طريق الإيحاء أما وقت اليقظة أو وقت النوم. انظر في ذلك : حنا الفاخوري وخليل الجر ، مصدر سابق، ص، 404 .

23. منذر الكوثر، مصدر سابق، ص، 278-279 .

24. أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، مصدر سابق، ص، 105-106 .

25. حسين علي المنتظري، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية، ط1،(قم، مكتب الإعلام الإسلامي، 1408هـ) ، ج1، ص، 262-263 .

26. أفلاطون ، جمهورية أفلاطون، مصدر سابق، ص، 16-99-106 .

27. للاطلاع أكثر حول هذا الموضوع، انظر: عادل العوا ، الكلام والفلسفة، ط2،(دمشق، منشورات جامعة دمشق، 1964)، ص، 81-83-88 .

28. حنا الفاخوري، خليل الجر ، مصدر سابق، ص، 419-420 .

29. حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية،ط2،(بيروت، د.ن.، 1979)،ص، 497. مقابلة مع عادل العوا، عميد كلية الآداب، جامعة دمشق، حول هذا الموضوع، في 1981/8/2 .

30. المصدر نفسه، ص، 498.وانظر: أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، مصدر سابق، ص، 108 .

31. حنا الفاخوري، خليل الجر، مصدر سابق، 419 .

32. أبو نصر الفارابي، السياسة المدنية(مبادئ الموجودات)، تحقيق وتقديم وتعليق:فوزي متري نجار،ط1،(ايران، انتشارات الزهراء(ع) للنشر، 1408هـ) ص، 80 .

33. أبو نصر الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة، مصدر سابق، ص، 99 ومابعدها.

(34) Encyclopedia universals; Tom Jipp, paris. 1977. p. 163.

35. انظر في ذلك: أفلاطون، جمهورية أفلاطون، ترجمة وتقديم وتعليق، نظلة الحكيم ، محمد سعيد مظهر ، مصدر سابق، ص، 130-149 .

36. وليد فستق، " الفلسفة السياسية الإسلامية"، مجلة الفكر المعاصر، العدد 12، 1990، ص، 117.

37. حول مضادات المدينة الفاضلة وكيف تتحول الواحدة إلى الأخرى، انظر في ذلك: أفلاطون، الجمهورية، ترجمة: حنا خباز، ط2،(بيروت، د.ن.1980)،ص،236-246 .

38. انظر: أرسطو طاليس، كتاب السياسة، ترجمة: احمد لطفي السيد،(بيروت،.ن.د.ت.،)، ص، .204

39. انظر: غسان فيناس، مصدر سابق،ص، 211-212-235 ومابعدها. فصل: مختارات من كتاب السياسة المدنية للفارابي.

40. منذر الكوثر ، مصدر سابق، ص، 285.